المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

من مظاهر الإعجاز في انفرادات الإمام الكسائي من طريق الطيبة "دراسة تطبيقية بلاغية"

Manifestations of miraculousness in Imam al-Kisa'i's idiosyncrasies From the path of kindness (A rhetorical applied study)

بقلم

علي بن عبد اللّه الغامدي

قسم القرآن والدراسات الاسلامية، كلية الشريعة والقانون
جامعة جدة ، المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولي/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

من مظاهر الإعجاز في انفرادات الإمام الكسائي من طريق الطيبة "دراسة تطبيقية بلاغية"

علي بن عبد الله الغامدي

قسم القرآن والدراسات الاسلامية، كلية الشريعة والقانون ، جامعة جدة ، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: aagkg1970@gmail.com

الملخص

يعنى هذا البحث بدراسة مواضع من انفرادات الإمام الكسائي في القرآن الكريم، وبيان وجه الإعجاز المستنبط منها، واستيضاح الفرق بينها وبين باقي القراءات المتواترة من حيث المعنى؛ وذلك من أجل إثبات دلالة التنوع في القراءات القرآنية على إعجاز كتاب الله تعالى، واستظهار وجه الإعجاز البلاغي في القراءات القرآنية، لا سيما إذا كان القارئ –محل الدراسة– إمامًا في اللغة والنحو، فضلًا عن كونه أحد القراء العشرة.

والبحث –إذ يوصي– يوصي باعتماد مقررات علمية لدراسة مسائل الإعجاز في القراءات القرآنية في الدراسات الأكاديمية في الأقسام ذات الصلة.:

الكلمات المفتاحية : مظاهر الإعجاز ، انفرادات ، الإمام الكسائي، دراسة تطبيقية .

Manifestations of miraculousness in Imam al-Kisa'i's idiosyncrasies From the path of kindness (A rhetorical applied study)

Ali bin Abdullah Al-Ghamdi
Department of the Qur'an and Islamic Studies, College of Sharia and Law, University of Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia
Email: aagkg1970@gmail.com

Abstract

This research is concerned with studying and studying places in the Holy Qur'an from Imam Al-Kisa'i, and explaining the aspect of the miracle derived from them, and the difference between them and the rest of the frequent readings in terms of meaning.

Research methodology: The analytical approach. Among the objectives of the research: the significance of the diversity in Qur'anic readings on the miraculousness of the Book of God Almighty. Among the most important results of the research: the emergence of the aspect of rhetorical miracle in Qur'anic readings, in particular If the reader under study is an imam in language and grammar, in addition to being one of the ten readers.

Among the most important recommendations: Adopting scientific courses to study issues of miraculousness in Qur'anic readings in academic studies in relevant departments.

Keywords: Manifestations of the Miraculous , Individuals , Imam Al-Kisai , An Applied Study

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فالقراءات القرآنية كنز يستفتحه كل عصر بأدواته؛ ليأخذ منه ما تسنَّى له من جواهره ودُرَره، وهو كريم، كلما استثير أعطى؛ لذلك كان علينا أن نستزيد من العلم بالقرآن وقراءاته بكثرة مدارسته؛ فإنه لا يخلق على كثرة الرد، بل تَرْكُه دون إثارة فيه أفدح خسارة.

ومن صور مدارسة القرآن الكريم: إبراز وجوه الإعجاز فيه، وكشف دلائل بلاغته من خلال تنوع قراءاته؛ إذ هي زاخرة وحافلة بكثير من المعاني التي تزيد الآيات القرآنية جمالًا وسعة وثراء في الأسلوب، من غير اضطراب أو اختلاف أو تعارض، بل إن القرآن الكريم كله سبيكة واحدة، وقالبًا واحدًا لا تنافر فيه ولا شذوذ.

وهذا البحث يعمِد إلى بيان مظاهر الإعجاز في بعض انفرادات الإمام الكسائي؛ بوصفه أحد الأئمة الأعلام الذين تتلقى عنهم القراءة بالقبول جيلًا بعد جيل، أضف إلى هذا أنه شيخ من شيوخ العربية، وعلم من أعلامها.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية معرفة وجوه الإعجاز في القراءات القرآنية؛ فدارس اللغة العربية -إن لم يطلع على القراءات القرآنية وما فيها من وجوه البلاغة والإعجاز- يغيب عنه كثير من أسرار هذه اللغة المعطاء.

٢- القيمة العلمية الكبيرة للإمام الكسائي؛ فهو إمام يجمع بين العلم باللغة والإمامة في القراءة؛ فكان جديرًا بدراسة انفراداته في القراءات.

٣- أن هذه الانفرادات للكسائي تكتنز بين طياتها كثيرًا من وجوه الإعجاز وألوان البلاغة – كما سيتبدّى ذلك في ثنايا البحث؛ فكان ذلك أدعى للوقوف عليها.

٤- إبراز العلاقة الوثقى بين علم القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية الأخرى، لا سيما علم البلاغة؛ إذ هو ثوبها القشيب، ولباسها الأنيق.

الدراسات السابقة:

اعتنى العلماء بعلم القراءات عناية فائقة، وكان اهتمامهم ينصبّ على حفظ الحروف، ومعرفة أوجه الخلاف بين قراء الأمصار، ثم طرأ على هذا العلم مزيد من مظاهر العناية والاهتمام؛ فتنوعت مقاصد التأليف فيه، وكان من جملتها: الاحتجاج للقراءات، وبيان وجهها. غير أن هذه المؤلفات اعتنت ببيان وجوه القراءات؛ فيحتج لها بالقرآن الكريم، وفصيح الشعر، وأساليب العرب المتنوعة، وكانوا –أيضًا– يكتفون ببلوغ الغاية في الاحتجاج للقراءة من غير تصريح بوجه الإعجاز فيها، ومقارنتها بالقراءة الأخرى في الآية نفسها، وكان ذلك ما تقتضيه سمة ذلك العصر من التخفيف، وما غلب عليم من سرعة الفهم، واتضاح المقصود، فلما اتسعت مقاصد التأليف اعتنى بعض المتأخرين بالحديث عن وجوه الإعجاز في القراءات القرآنية في بحوث متفرقة، ودراسات متنوعة (١)؛ لكنني لم أقف على من تناول ما دل عليه عنوان البحث من الحديث عن انفرادات الإمام الكسائي وبيان وجوه الإعجاز في مواضع منها على سبيل الاستقلال، وهو ما حرك عندي الرغبة في دراسة هذا الجانب. وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

(١) من هذه الجهود العلمية المشكورة :كتاب أثر القراءات في الفقه الإسلامي للدكتور صبري عبد الرؤوف، وكتاب القراءات وأثرها في التفسير والأحكام للدكتور محمد بازمول ، وكتاب اخلاف القراءات وأثره في التفسير واستنباط الأحكام للدكتور عبد الهادي حميتو ، وكتاب الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة للدكتور أحمد بن محمد الخراط ، وكتاب التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للدكتور أحمد سعد محمد ، وكتاب إعجاز القراءات القرآنية دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء لصبري الأشوح.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، مع التحليل؛ من حيث هو أداة من أدوات هذا المنهج في دراسة المواضع المختارة وبيان وجه الإعجاز فيها، ملتزمًا الخطوات العلمية الآتية:

*- اقتصرتُ على الخلاف الفَرْشي فقط؛ فبه تظهر غالبًا دلائل الإعجاز.

*- اقتصرت – أيضًا- على انفرادات الإمام الكسائي أو أحد راوييه.

*- التزمت طريق طيبة النشر في القراءات العشر في جمع انفرادات الكسائي.

*- اقتصرت على نماذج من انفرادات الإمام الكسائي، مما يظهر فيه بجلاء تقرير وجه الإعجاز؛ فالاستقصاء شأن يطول لا تحتمله طبيعة البحث.

*- رتبت المواضع وفق ترتيب السور.

*- ذكرت الآية القرآنية التي ورد فيها الخلاف، مبينًا موضعها من القرآن الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

*- ذكرت الشاهد على القراءة من متن الطيبة للحافظ ابن الجزري رحمه الله تعالى.

*- التزمت بذكر توجيه القراءات المستنبَط منها وجه الإعجاز.

*- بيّنت وجه الإعجاز في كل قراءة بعد استكمال وجهها اللغوي.

*- وثّقت النصوص الواردة في البحث من مصادرها الأصيلة.

هدف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مواضع من انفرادات الإمام الكسائي في القرآن الكريم، وبيان وجه الإعجاز المستنبط منها، واستيضاح الفرق بينها وبين باقي القراءات المتواترة من حيث المعنى؛ وذلك للتدليل -بتنوع القراءات القرآنية- على إعجاز كتاب الله تعالى.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من: مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

المقدمة. وتشمل: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد. ويتضمن ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: تعريف الانفرادة.

العنصر الثاني: التعريف بالإمام الكسائي.

العنصر الثالث: التعريف براويي الإمام الكسائي:

أولًا: التعريف بأبي الحارث.

ثانيًا: التعريف بالدوري.

المبحث الأول: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ).

المبحث الثاني: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء).

المبحث الثالث: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال).

المبحث الرابع: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ).

المبحث الخامس: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: (فَيَحِلَّ عَليكُم غَضَبِي ومَنْ يحْلِلْ عَليه).

المبحث السادس: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات، وأن ينفع به قارئه وعموم المسلمين، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يجبر الخلل ويسدد الخطى.

التمهيد

وفيه ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: تعريف الانفرادة.

العنصر الثاني: التعريف بالإمام الكسائي.

العنصر الثالث: التعريف براويي الإمام الكسائي.

العنصر الأول: تعريف الانفرادة

الانفرادة لغة: من مادة (ف ر د) قال ابن فارس: «الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة، من ذلك: "الفرد" وهو الوتر، و"الفارد" و"الفرد": الثور المنفرد، و"ظبية فارد": انقطعت عن القطيع، و"الفريد": الدُّر إذا نُظِم وفُصِل بينه بغيره»(١).

فالمعنى اللغوي للكلمة معناه: الوحدة، والانفصال عن الشيء بعد أن كان مجتمعًا بغيره.

"الانفراد" اصطلاح القراء: في الحقيقة لم يقف البحث على تعريف لهذا المصطلح في كتب القدامى، وقد عرف به أحد المحدثين فقال: «ما يعزى من أوجه القراءات إلى قارئ واحد من الأئمة أو أحد رواتهم أو أحد طرقهم، ومنها ما هو في عِداد الشاذ، ومنها ما هو في عِداد المتواتر، ويُعَبَّر عنها بـ (التفرد) و(الانفراد) و (الأفراد)»(٢).

وهذا المعنى ينطبق على ما انفرد به الإمام الكسائي أو أحد راوييه، كما هو موضوع هذا البحث.

---

(١) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات لإبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة للنشر، الرياض، ط:١، عام النشر: ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨م.

(٢) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس الرازي، تح: عبد السلام محمد هارون٤/٥٠٠، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

العنصر الثاني : التعريف بالإمام الكسائي

اسمه ونسبه:

علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، أبو الحسن الكسائي الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، واختلف في تسميته بالكسائي، فسئل عن ذلك فقال: لأني أَحْرَمْتُ في كساء (١)

شيوخه:

أخذ القراءة عرضًا عن حمزة أربع مرات، وعليه اعتماده، وعن محمد بن أبي ليلة، وعيسى بن عمر الهمداني، وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش واسماعيل ويعقوب ابني جعفر عن نافع، ولا يصح قراءته على نافع كما ذكره الهذلي، بل ولا رآه، وعن عبد الرحمن بن أبي حماد وعن أبي حيوة شريح بن يزيد في قول وقيل: بل شريح أخذ عنه، وعن المفضل بن محمد الضبي وعن زائدة بن قدامة عن الأعمش ومحمد بن الحسن بن أبي سارة وقتيبة بن مهران، ورحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل(٢).

تلاميذه:

أخذ عنه القراءة عرضًا وسماعًا: إبراهيم بن زاذان، وإبراهيم بن الحريش، وأحمد بن جبير، وأحمد بن أبي سريج، وأحمد بن أبي ذهل، وأحمد بن منصور البغدادي، وأحمد بن واصل، وإسماعيل بن مدان، وحفص بن عمر الدوري، وحميد بن ربيع الخزاز، وزكريا بن وردان، وعبد الله بن أحمد بن ذكوان، وعبيد الله بن موسى، وعدي بن زياد، وعلي بن عاصم، وعيسى بن سليمان، والفضل بن إبراهيم، وأبو عبيد القاسم

(١) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٢٩٥، وغاية النهاية لابن الجزري ١/٥٣٥- ٥٣٩.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي٢١/٤٨-٥١، ومعرفة القراء الكبار للذهبي٧٢-٧٣، وغاية النهاية لا بن الجزري١/٥٣٥-٥٣٦.

بن سلام، والليث بن خالد، ونصير بن يوسف، فهؤلاء المكثرون عنه، وأما المقلون فهم: إسحاق بن إسرائيل، وحاجب بن الوليد، وحجاج بن يوسف بن قتيبة وخلف بن هشام البزاز، وأبو حيوة شريح بن يزيد، وصالح الناقط، وعبد الواحد بن ميسرة القرشي، وعمر بن نعيم بن ميسرة، وعروة بن محمد الأسدي، وعون بن الحكم، ومحمد بن زريق، ومحمد بن سعدان، ويحيى بن زياد الفراء، ويعقوب الحضرمي روى عنه الحروف(١)

مؤلفاته: معاني القرآن، كتاب القراءات، كتاب العدد، كتاب النوادر الكبير، كتاب النوادر الأوسط، كتاب النوادر الأصغر، كتاب في النحو، كتاب العدد واختلافهم فيه، كتاب الهجاء، كتاب مقطوع القرآن وموصوله، كتاب المصادر، وكتاب الحروف، كتاب الهاءات، كتاب أشعار(٢)

أقوال العلماء فيه: قال يحيى بن معين: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي، وقال الشافعي رحمه الله: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، وقال الفضل بن شاذان: لما عرض الكسائي على حمزة خرج إلى البدو، فشاهد العرب، وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم، ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة، وقال أبو عبيد في كتاب القراءات: كان الكسائي يتخير القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضًا، وكان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته، ولم يجالس أحدًا كان أضبط ولا أقوم بها منه، وقال ابن مجاهد: فاختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره، وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءته عليهم، وقال أبو بكر الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور، كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم

(١) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان٣/٢٩٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي٩/١٣١-١٣٤.
(٢) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان٣/٢٩٥، وغاية النهاية لا بن الجزري٥٣٩.

فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادي(١).

وفاته: اختُلف في تاريخ موته، فالصحيح الذي أرّخه غير واحد من العلماء والحُفاظ: سنة تسع وثمانين ومائة، وقيل: سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة اثنتين وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وثمانين، وقيل: سنة خمس وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين. قال الحافظ أبو العلاء الهمذاني: وبلغني أن الكسائي عاش سبعين سنة (٢).

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي٩/١٣١-١٣٤، وغاية النهاية لا بن الجزري١/٥٣٧-٥٣٨.
(٤) ينظر: ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان٣/٢٩٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي٩/١٣١-١٣٤.

العنصر الثالث : ترجمة راويي الإمام الكسائي

أولًا: ترجمة أبي الحارث.

اسمه ونسبه: الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي(١).

من شيوخه: عرض على الكسائي وهو من جِلة أصحابه، وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدي(٢).

من تلاميذه: روى القراءة عنه عرضًا وسماعًا سلمة بن عاصم صاحب الفراء، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، والفضل بن شاذان، ويعقوب بن أحمد التركماني(٣).

وفاته: توفي سنة أربعين ومائتين(٤).

ثانيًا: ترجمة الدوري.

اسمه ونسبه: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان، ويقال: صهيب أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الدوري الضرير، ونسبته إلى "الدور"، موضع ببغداد ومحلة بالجانب الشرقي(٥).

من شيوخه: قرأ على: إسماعيل بن جعفر، والكسائي، ويحيى اليزيدي، وسليم، وسمع الحروف من أبي بكر، ويقال إنه أول من جمع القراءات وألَّفها، وروى -أيضًا- عن أبي إسماعيل المؤدب إبراهيم بن سليمان، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وأبي معاوية الضرير، ومحمد بن مروان السدي، وعثمان بن عبد الرحمن الوقاصي،

(١) ينظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ٣١٢/٢٤، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١٢٤/١.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٣١٢/٢٤، وغاية النهاية لا بن الجزري٣٤/٢.

(٣) ينظر: المصدرين السابقين.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٣١٢/٢٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي٥٤١/١١-٥٤٣.

(٥) ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي١١٣/١-١١٤، وغاية النهاية لابن الجزري٢٥٥/١.

ويزيد بن هارون، وقد روى عن أحمد بن حنبل، وهو من أقرانه، وطال عمره، وقصد من الآفاق، وازدحم عليه الحذاق؛ لعلو سنده وسعة علمه(١).

من تلاميذه: قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وأبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، وأحمد بن فرح، والحسن بن بشار بن العلاف، وعمر بن محمد الكاغدي، والقاسم بن زكريا المطرز، وأبو عثمان سعيد بن عبد الرحيم الضرير، وعلي بن سليم، وجعفر بن أسد النصيبي، وقاسم بن عبد الوارث، وخلق سواهم(٢).

وفاته: توفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين، وغلط من قال سنة ثمان وأربعين(٣).

* * *** * *

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي١١/٥٤١-٥٤٣.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤/٣١٢، ومعرفة القراء الكبار للذهبي١/١٩١.

(٤) ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي١/١٩١، وغاية النهاية لابن الجزري١/٢٥٥.

المبحث الأول : مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾

قرأ الكسائي ﴿أنّ الدين ﴾ بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.(١)

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة (٢) :

..... وَإِنَّ الدِّينَ فَافْتَحْهُ رَجُلْ

قراءة الجمهور بكسر همزة ﴿إنّ ﴾ على الاستئناف؛ لأنّ الكلام قد تمّ عند قوله: ﴿العزيز الحكيم ﴾ ثمّ استأنف وابتدأ بخبر آخر فكسر (إنّ) لذلك؛ وهذا أبلغ في التأكيد والمدح والثناء.

وقراءة الكسائي (أنّ) بفتح الهمزة على أنه بدل كل من الكل في قوله تعالى ﴿ أنه لا إله إلا هو ﴾ إنْ فُسر الإسلامُ بالإيمان، أو بما يتضمنه، أو بدل اشتمال إنْ فسر بالشريعة؛ لأنّ الإسلام يشتمل على التوحيد ، أو بإضمار حرف الجر كأنَّه قال: شهد الله أنَّه لا إله إلّا هو؛ لأنَّ الدين عند الله الإسلام أو بأنَّ الدين عند الله الإسلام.(٣)

فتكون قراءة الكسائي –بفتح الهمزة– تصريح بأن معنى: ﴿ لا إله إلا هو ﴾ الإسلام، فقد شهد الله بذلك، وأقام الادلة على صحته، وأنّه دينه الذى ارتضاه، وشهد بذلك الملائكة الأطهار بما أخبرهم به رب العالمين، وشهد به أولو العلم بما استنبطوه، وقراءة الجمهور تفيد هذه الحقيقة بطريق ورود التوكيد بالحرف (إنْ) على أنّه استئناف كلام يقرر معانى الآية السابقة، وما اشتملت عليه من معانى الألوهية والعبودية والربوبية؛ لأنّ دين الإسلام يقتضى الإيمان.

---

(١) الإقناع (ص: ٣٠٩) البدور الزاهرة للقاضي (ص: ٥٩)

(٢) ينظر: مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» بيت رقم (٥٢٢)

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات لمكي (٣١٨/١)، تفسير القرطبي (٤٣/٤)، شرح الهداية (٢١٥/١)، تفسير أبي السعود (٣٦٦/١)، منار الهدى في بيان الوقف والإبتدا للأشموني (١١٣/١)

قال الفخر الرازي: من قرأ ﴿أنّ الدين﴾ بفتح (أنّ) كان التقدير: شهد الله لأجل أنّه لا إله إلّا هو أنّ الدين عند الله الإسلام، فإنّ الإسلام إذا كان هو الدين المشتمل على التوحيد، والله تعالى شهد بهذه الوحدانية؛ كان اللازم من ذلك أن يكون الدين عند الله الإسلام، ومن قرأ ﴿إنّ الدين﴾ بكسر الهمزة، فوجه الاتصال هو أنّه تعالى بيَّن أنّ التوحيد أمر شهد الله بصحته، وشهد به الملائكة وأولوا العلم، ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يقال: إنّ الدين عند الله الإسلام).(١)

وعليه فليس ثمة تعارض بين القراءتين، ولكن الوجوه تتكامل في تحقيق وجه الاعجاز في كتاب الله تعالى لدلالة على المعنى بوسائل التوكيد المتعددة.

ثم إن تنوع القراءات يثري المعنى القرآني، وقد اختلفت الحركة بين الفتح والكسر في الهمزة فتنوع –على إثرها– المعنى في كل قراءة، بل أضافت قراءة فتح الهمزة (أَنَّ الدين) معانٍ لا توجد في قراءة كسر الهمزة، ومنها:

ما أشار إليه الإمام الرازي أن الدين –الذي هو الإسلام– هو التوحيد، أو أن الدين مشتمل على التوحيد؛ فتكون شهادة الله تعالى بالأمرين معًا(٢).

أو أن الله تعالى أفرد كل واحد من الأمرين بالشهادة، والتقدير: شهد الله أنه لا إلاه إلا هو وأن الدين عند الله الإسلام(٣).

وثمة معنى آخر أشار إليه الفارسي، حيث جعل "الدين" بدلًا من "القسط"؛ لأنّ الدين –الذي هو الإسلام– قسط وعدل(٤).

قلت: وفي هذا إشارة لمزيد تعظيم وتقديم أمر العدل في كل شيء، فالله تعالى هو العدل، ودعانا إلى العدل، وحذرنا مغبة الظلم وعاقبة الظالم المرعبة والمخيفة.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٧١/٧)، وانظر: زهرة التفاسير (١١٤٨/١)

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي١٨١/٧.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي١٨١/٧.

(٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة للفارسي٢٢/٣-٢٣.

هذا، وقد طعن في قراءة الإمام الكسائي بعض العلماء، كالإمام الطبري وغيره من علماء اللغة، حيث نسبوها للخطأ؛ بحجة مخالفتها ما عليه القراء(١).

قلت: بل هذه القراءة ثابتة متواترة، وهي من القراءات السبع المجمع عليها، وإذا كانت القراءة كذلك فإنَّه يجب قبولها والتَّسليم لها وعدم الاعتراض والطَّعن فيها، والقراءة حجَّة على القياس وليس العكس، والإمام الكسائي –رحمه الله– لم يكن ليأتي بهذه القراءة من تلقاء نفسه.وإنَّما حملها عن ثقات حتَّى تصل إلى مصدرها، وهو النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم. ونسبة هذه القراءة إلى الكسائي لا يعني انفراده بها وإلّا لم تكن متواترة. والله أعلم.

* * ** * *

(١) تفسير الطبري (٢٧٧/٥)، وانظر اعراب القرآن للنحاس (٣٦٢/١)

المبحث الثاني

مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

قرأ الكسائي وحده: ﴿هل تستطيع ربَك﴾ بالتاء ونصب الباء واللام مدغمة في التاء، وقرأ الباقون: ﴿هل يستطيع ربُك﴾ بالياء ورفع الباء.(١)

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة:(٢) ....وَيَسْتَطِيعُ رَبُّكَ سِوَى ... عَلَيِّهِم .....

قراءة الكسائي –بتاء الخطاب والنصب– إمّا أن يكون على حذف مضاف، تقديره: هل تستطيع سؤال ربك، فأقيم المضاف إليه مقام المضاف في إعرابه، وإمّا أن يكون (ربَك) مفعول به، فيكون المعنى: هل تسأل لنا ربك؟ فعبّر بالاستطاعة عن طلب الطاعة، أي: إجابة السؤال، كما ذكر ابن عاشور.(٣)

ومن قرأ بالغيبة وضم الباء –وهم الجمهور– فالمعنى: هل يفعل ربك هذا، وهل يقع منه إجابة؟ وهم في هذا السؤال عالمون أنّه يستطيع ذلك، فلفظه لفظ الاستفهام، ومعناه: معنى الطلب والسؤال، كما قال ابن خالويه.(٤)

وسؤال الحواريين لعيسى لم يكن شكًّا في قدرة الله، وإنّما سألوا ذلك ليتبينوا، كما قال إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى}[البقرة: ٢٦٠] أو أن يكون سؤالهم هذا من قبل أن يعلموا أنّ عيسى يبرئ الأكمه والأبرص، وأجاز القرطبي أن يكون ذلك صدر ممن كان معهم، كما قال بعض جُهّال الاعراب للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكما قال من قال من قوم موسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة).(٥)

---

(١) السبعة (٢٤٩)، النشر (٢/٢٥٦)
(٢) ينظر: مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» بيت رقم (٥٨٩)
(٣) التحرير والتنوير (٧/١٠٦)
(٤) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١/١٣٥)
(٥) تفسير القرطبي (٦/٣٦٤)

وما ذكره بعض العلماء من عدم شك الحواريين في قدرة الله تعالى هو الراجح كما قال القرطبي؛ لأنّ الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، ولأنّهم خلصان الأنبياء ودخلاؤهم وأنصارهم كما قال: {من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله} [آل عمران: ٥٢]، ومعلوم أنّ الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم– جاءوا بمعرفة الله تعالى، وما يجب له، وما يجوز، وما يستحيل عليه، وأن يبلغوا ذلك أممهم، فكيف يخفى ذلك على من باطنهم واختص بهم حتى يجهلوا قدرة الله تعالى.(١)

وبهذ تكون قراءة الكسائي بالخطاب في (تستطيع) ونصب كلمة (ربَك) مبيّنة للمراد من قراءة الجمهور بالغيبة في (يستطيع) وضم كلمة (ربُك)، ونفت توهمًا وإشكالًا قد يفهم منها أنّ سؤال الحواريين شك في قدرة الله، وهذا ينافي الإيمان الذي أثبته الله لهم في الآية التي قبلها {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون}. [المائدة: ١١١].

كما أن هاتين القراءتين توضحان أن هناك علاقةً بينهما، فالقراءة بضمير الغيبة: (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) طلب لمعاينة المائدة؛ وذلك ليزداد هؤلاء الحواريون بصيرةً، ويتمكن الإيمان بالله في قلوبهم(٢).

وانفراد الإمام الكسائي بهذه القراءة: (هل تستطيع ربك) أفاد معنى آخر، هو: تعظيم المولى جلت قدرته، وتنزهه –سبحانه وتعالى– عن العجز؛ حيث أسند الحواريون السؤال عن الاستطاعة إلى عيسى عليه السلام، يعني: أنهم لا يتحدثون عن استطاعة المولى، فهم يعلمون أنه –سبحانه وتعالى– مستطيعٌ ذلك، وإنما يتوجهون بالخطاب لعيسى –عليه السلام– بأن يسأل ربه إنزال هذه المائدة، وفي ذلك إشارة إلى تكريم

(١) تفسير القرطبي (٣٦٤/٦)

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية٢٣٣، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

عيسى وتعظيمه؛ حيث استجاب الله لدعائه، وبذلك تكون كل قراءة قد أفادت معنًى من المعاني(١).

كما أن قراءة الكسائي غايتها: إضمار ما عادته الإظهار، أي: هل تستطيع أن تدعو ربّك(٢).

وثمة معنى آخر أفادته قراءة الكسائي، وهو أن الاستفهام من الحواريين ليس على حقيقته؛ لأنهم لا يَشُكّون في استطاعة سيدنا عيسى على الطلب والسؤال، بل يدل على تحققهم من قدرته على ذلك، وهو لون من ألوان الخطاب، وأسلوب من أساليب العربية، كما تقول لرجل: هل يمكن أن تفعل كذا؟ ولا يلزم من هذا عدم القدرة على الفعل، بل يدل على الثقة المطلقة في قدرته على فعل ذلك(٣).

وكما ترى فإن القراءتين أفادتا معنيين مختلفين، ولكنهما غير متنافرين ، وهكذا اختلاف القراءات القرآنية يشهد بيقين أن الكلام كلام الله تعالى. والله تعالى أعلم

* * *** *

(١) حدائق الروح والريحان للهرري ١٤٧/٨-١٤٨.

(٢) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني لمحمد حبش١٨٣، الناشر: جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية/ كلية الدراسات العليا والبحث العلمي السودان ــ أم درمان، إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد علي الإمام.

(٣) ينظر: الهداية لمكي١٩٣١/٣.

المبحث الثالث

مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

قرأ الكسائى وحده ﴿لَتزولُ﴾ بفتح اللام الأولى، وضم الثانية، وقرأ الباقون ﴿لِتزولَ﴾ بكسر الأولى، وفتح الثانية.(١)

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة (٢):

.....وَافْتَحْ لِتَزُولَ ارْفَعْ رُمَا .....

وجه قراءة الكسائي: على أنْ تكون ﴿ إنْ ﴾مخففة من الثقيلة. ومعنى الآية: تعظيم مكرهم وشدته، أي: أنّه مما يشقى به، ويزيل الجبال عن مستقراها لقوته، ولكنّ الله تعالى أبطله ونصر أولياءه، وهذا أشد في العبرة، كما قال ابن عطية.(٣)

وعلى قراءة الباقين تكون ﴿إن﴾ إمّا شرطية، أي: وإن كان مكرهم معادلًا إزالة أشباه الجبال الرواسي، وهي المعجزات والآيات، فالله مجازيهم بمكر أعظم منه. وإمّا أن تكون ﴿إن﴾ نافية، واللام في ﴿لتزول﴾ مؤكدة لها، أي: وما كان مكرهم بالذي يزيل ما هو بمنزلة الجبال، وهي الشرائع ودين الله تعالى.(٤)

والمعنى الذي أفادته قراءة الكسائي –وهو أنه من شدة مكر الكافرين حتى كادت الجبال أن تزول من شدته– يدل على أن أعداء الدعوة الإسلامية في عصر النبوة كانوا يحشدون شتى الوسائل والأساليب في سبيل القضاء على الدعوة وتشويهها، وإيقاع الفتنة برجالها، وإيذاء قائدها؛ فأطلق على هذا كله اسمًا معبرًا ذا دلالة واسعة، هو المكر، بما يحتويه من الحيل والخداع والمؤامرات، ثم أكّده بصيغة المصدر الصريح المطلق المضاف إلى ضميرهم؛ لإبراز تلبسهم به، فقال تعالى: (وقد

---

(١) السبعة (٣٦٣/١)، البدور الزاهرة (١٩٤/١)

(٢) ينظر: مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» بيت رقم (٧١٥)

(٣) المحرر الوجيز (١١٣/٤) وانظر: إبراز المعاني من حرز الأماني (٢٣٠/٢)

(٤) إبراز المعاني من حرز الأماني (٢٣٠/٢)، فتح القدير للشوكاني (١٥٩/٤)

مكروا مكرهم)، وقد لحق المصدر أداة التحقيق (قد)؛ لأنهم كانوا عازمين على بلوغه...

ثم تأتي هذه الصورة الحسية الضخمة، إذ تتخيل سلسلة (جبال) بصيغة الجمع (تزول)، والجبل –حسبما اختُزن في ذاكرتنا– رمز للقوة والثبات، ومواجهة المؤثرات وعوامل التعرية الطبيعية مهما تعاظمت، ولكن سلسلة الجبال هذه تتأثر بمكر أعداء الدعوة وكيدهم إلى درجة زوالها، ومع ذلك فإن الله تعالى ينصر دينه، ومكرهم عنده لا يخفى، والمعنى الذي تنشئه هذه القراءة: سعة المكر، وما يمتلكه من وسائل، وذلك على سبيل التشخيص الحي في هيئة صورة محسوسة ضخمة، مشحونة بضروب من التوكيد والتقرير، فهو لم يكتف ببيان الحقيقة، من غير تشخيصها على هيئة مشاهدة.(١)

ويتبين لنا –من خلال هذه القراءة– وصف مكر القوم، وتربُّصهم بالدعوة، وحشدهم ما يملكون من وسائل الهدم، والنيل من رجالاتها.

فالقراءتان متواترتان ولا تعارض بينهما، وكل قراءة أسهمت في بيان معنىً جديدًا، وذلك أنّ قراءة الكسائي أثبتت شدة كيد الكائدين وعظيم مكرهم لهذا الدين، بحيث تزول من مكرهم الجبال الراسيات، وقراءة الجمهور تدل على أنّه مهما بلغ كيدهم ومكرهم فلن يستطيعوا أن يزيلوا هذا الدين، فمكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال، وثبوت هذا الدين وظهوره كثبوت الجبال الراسيات؛ لأن الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه إظهار دينه على الأديان، فقال: {ليظهره على الدين كله} [الصف: ٩]، وقال تعالى: {فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله} [إبراهيم: ٤٧]، أي: لا يخلفهم ما وعدهم من نصره لهم، وإظهار نبوتهم، وكلمتهم وحجتهم.

(١) ينظر: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة للدكتور أحمد الخراط٢٥٩-٢٦١.

وكل هذه المعاني الكبيرة –بهذا الأسلوب البليغ الرفيع– نشأت من تغيير حركتي اللام في (لتزول)؛ ليصاحب هذا التغيير امتداد في المعاني المستهدفة، يعقبه تكامل بينها

فالمبالغة قائمة على كلا الوجهين، ولكنها اختلفت –قوة وضعفًا– بتغايرهما؛ تصويرًا لمشاعر الفريقين على هذا النحو من الايجاز الذي يتفرد به الذكر الحكيم

* * ** * *

المبحث الرابع

مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. [الإسراء: ١٠٢]

قرأ الكسائي وحده: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَنْزَلَ﴾ بضم التاء. وقرأ الباقون بفتح التاء.(١)

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة (٢) :

.....وَعَلِمْتُ مَا بِضَمِّ التَّا رَنَا

قراءة الضم للكسائي معناها: أنّ موسى –صلى الله عليه وسلم– يخبر عن نفسه أنّه على يقين أنّ الله أنزل الآيات بصائر لعباده، ويكون هذا من موسى صلى الله عليه وسلم جوابًا لقول فرعون له: {إني لأظنك يا موسى مسحورا}[الإسراء: ١٠١]، أي: قد سُحِرت فلا تدري ما تقول. فقال: موسى: لقد علمتُ أنا أنّ الله أنزل هذه الآيات بصائر لعباده ولست بمسحور.(٣)

قال ابن عاشور: وفي هذا كناية على أنّه واثق من نفسه السلامة من السحر.(٤)

فموسى عليه السلام نفى عن نفسه تهمتين أمام فرعون، هما: كونه مجنونًا، ومسحورًا، ومن الطبيعي أن يحشد الداعية أدلته اليقينية أمام خصمه، فهو –هنا– يستخدم أداتي التأكيد (لقد)، وينفي ثم يثبت في جملة واحدة بأسوب الحصر؛ حتى يدفع عن غير الله تعالى القدرة على إنزال هذه الآيات، ومن هو المنزل القادر؟ إنه رب السموات والأرض(٥).

---

(١) السبعة في القراءات (٣٨٥/١)، المبسوط: ٢٧٢

(٢) ينظر: مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» بيت رثم (٧٤١)

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي (٤٣٠٣/٦) المحرر الوجيز (٥٠٩/٣)

(٤) التحرير والتنوير (٢٢٧/١٥)

(٥) ينظر: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة للدكتور أحمد الخراط٢٧١.

وقراءة الفتح على المخاطبة من موسى لفرعون ومن تبعه بأنهم قد علموا صحة أمر موسى، وما جاء به من الآيات بدلالة قوله تعالى:{لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك }[الأعراف: ١٣٤] وقوله: {فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا.فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: ١٣]، وقوله: {يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك} [الزخرف: ٤٩](١).

وخطاب موسى لفرعون على سبيل التوبيخ والتقريع؛ لشدة عناده. أي: أنت بحال من يعلم هذا، والبصائر من الوضوح بحيث تعلمها.(٢)

فقراءه فتح التاء للجمهور: (علمتَ) أفادت منحى آخر غير ما أفادته القراءه الأولى بضم التاء (علمتُ)؛ لأنها أسندت العلم إلى فرعون، وفي هذا دليل على أن طائفة من رؤساء الكفر والطواغيت يعلمون –علم اليقين– بصدق أهل الايمان ويعترفون بقدره الله تعالى، ولكنهم ينكرون مكابرة وعنادًا، وقد يكون في هذا الإسناد الى فرعون تقريع له لشدة معاندته، أو يكون ذلك من باب كون هذه البصائر من الوضوح بحيث يعلمها(٣).

وعلى هذا تكون كل من القراءتين المتواترتين قد أفادت الإخبار عن حال موسى عليه السلام وحال فرعون بآية واحدة مع الإيجاز، ومع اختلاف لفظهما ومعناهما، فليس بينهما تناقض ولا تضاد، بل كل منهما تصدق الأخرى.

* * *** *

(١) جامع البيان ت شاكر (٥٦٩/١٧)، الحجة للقراء السبعة للفارسي (١٢٢/٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٧/١٠)

(٢) البحر المحيط (١٢١/٧)

(٣) ينظر: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة للدكتور أحمد الخراط٢٧٣.

المبحث الخامس

مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى : {كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى} [طه: ٨١].

قرأ الكسائيّ: ﴿فيحُلّ عليكم ﴾ بضم الحاء ﴿ومن يحلُل﴾ بضم اللام الأولى، والباقون: ﴿فيحِل﴾ بكسر الحاء وكسر اللام، من ﴿ومن يحلِل﴾.(١)

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة (٢) :

.....وَضَمُّ كَسْرِ

يَحِلَّ مَعْ يَحْلُلْ رَنَا.....

وجه قراءة الكسائي: على أنّهما مضارعان، من ﴿حلّ يحلُّ﴾ بالضم: اذا نزل بالمكان، من قوله تعالى:{او تحل قريبا من دارهم} [الرعد: ٣١]، والمعنى: فيتزل عليكم غضبي، ومن يتزل عليه غضبي فقد هوى، وهو خطاب لبنى اسرائيل.

وقرأ الباقون بكسر الحاء من ﴿فيحِل﴾ واللام من ﴿يحلِل﴾ على أنّهما مضارعان من "حلّ عليه الدين يحِل" بكسر الحاء، أي: وجب قضاؤه، ومنه قوله تعالى: {ويحل عليه عذاب مقيم} والمعنى: فيجب عليكم غضبى، ومن يجب عليه غضبي فقد هوى.(٣)

وانفرد الإمام الكسائي بضم الحاء (فيحُلَّ)، وضم اللام في (يحلُل)، والمعنى: كلوا يا بنى إسرائيل من الطيبات التي رزقكم الله إياها واشكروه عليها، ولا تتجاوزوا فيما رزقناكم الحدود التي شرعناها لكم، فإنكم إذا فعلتم ذلك حق عليكم غضبى

---

(١) الكنز في القراءات العشر (٥٥٩/٢)، المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر للنشار: ٢٥١

(٢) ينظر: مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» بيت رقم (٧٧٧-٧٧٨)

(٣) شرح الهداية (٤٢١/٢)، الدر المصون (٣٣٠٣/١)، القراءات وأثرها في علوم العربية (٣٨٥/١)

ونزل بكم عقابي، ومن حق عليه غضبي ونزل به عقابي فَقَدْ هَوى أى: إلى النار. وأصله: السقوط من مكان مرتفع كجبل ونحوه. يقال: هوى فلان-بفتح الواو- يهوى- بكسرها- إذا سقط إلى أسفل، ثم استعمل في الهلاك للزومه له.(١)

كما أن معنى النزول ووقوع الشيء يدل على شدة الغضب والانتقام إذا تجاوز بنو إسرائيل إلى ما لا يجوز؛ فجُل المعذبين المخالفين والمكابرين أنزل الله تعالى عليهم مطرًا، أو حجارة من سجيل، أو جعل عاليهم سافلهم، وضم الحاء واللام في الفعلين يشير إلى تتابع الغضب، وتضامٍّ بعضه إلى بعض حال نزوله؛ لما تقتضيه الضمة حال نطقها من استدارة للشفتين.

وإيثار التعبير بالفعل (يحل) دون (ينزل) -مثلًا- للمبالغة في التحذير والنهي؛ لأن الشيء إذا حلّ بالمكان فمعناه أنه اتخذه محلًا للإقامة فيه، فالله تعالى يقول لهؤلاء المخاطبين من بني اسرائيل: احذروا أن تجاوزوا الحد وتخالفوا أمري؛ لأن العذاب إذا حلَّ مكث وأقام مدة طويلة.

وفي التعبير بالمضارع في القراءتين يشير إلى أن الحلول إذا وقع ونزل فإنه متجدد متكرر، غير مقيد بزمان معلوم؛ ليكون أبلغ في الزجر وأقسى في العقوبة.(٢)

والقراءتان متقاربتان؛ فقراءة الضم من "الحلول" بمعنى: الوقوع، وقراءة الكسر من "الوجوب"، وهما متقاربان، والخطاب لبنى اسرائيل، فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب؛ لأنّهم كانوا قد خُوّفوا المعنيين كليهما ،كما قال الطبري.(٣) والله أعلم

* * *** *

(١) ينظر التفسير الوسيط للسيد طنطاوي ١٣٤/٩

(٢) ينظر الكشاف للزمخشري٨٠/٣. المحرر الوجيز لابن عطية٥٦/٤.

(٣) تفسير الطبري (٣٤٦/١٨)

المبحث السادس

مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩]

قرأ الكسائي: ﴿ذق أنّك﴾ بفتح الهمزة، والباقون بكسرها.(١)

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة (٢) :

..... وَإِنَّكَ افْتَحُوا رُمْ....

القراءة بالكسر على الابتداء. أي: إنّك أنت العزيز الكريم في ظنّك وزعمك فيما كنت تقول في الدنيا، فجرى الخبر على ماكان يقول هو في الدنيا ويصِف نفسه به.

وقراءة الفتح بمعنى: لأنّك، أو بأنّك أنت العزيز عند نفسك، وقيل: هو تعريض، ومعناه: الذليل المهين.(٣)

والقراءتان بمعنى واحد، مع تنوع الأسلوب؛ فقراءة الفتح على معنى: العلة، أي: لأَنّك، وقراءة الكسر على الاستئناف المُفيد للعلة، فتتحدُ القراءتان معنى، وهذا الكلام على سبيل التهكم، وهو أغيظ لِلْمُسْتَهْزَأ بِهِ.(٤)

إلا أن قراءة فتح الهمزة –التي انفرد بها الإمام الكسائي– تضمنت المعاني والوجوه التالية:

التعليل لهذه الأمر الذي جاء في الآية الكريمة، والمعنى: أن الله تعالى يقول لهذا المعاند والمكابر: ذق هذا العذاب لأنك قلت أنا العزيز الكريم.

---

(١) التيسير (ص: ١٩٨) الإقناع (ص: ٣٧٥)

(٢) ينظر: مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» بيت رقم (٩١٤)

(٣) الكشف (٢٦٥/٢)، شرح الهداية (٥١٢/٢)

(٤) اللباب لابن عادل (٣٣٣/١٧)

وفتح الهمزة في (أَنك) ينسجم مع فتح الهمزة في ضمير الفصل(أَنت)، وهذا الانسجام الصوتي بما يفيده الفتح من استعلاء وانفتاح للفم حال النطق؛ يتوافق مع طبيعة هذا المتعالي والمتكبر الذي ينظر إلى الناس نظرة دونية، ويخاطب الناس من علٍ.

كما أن الإتيان بضمير الخطاب في القراءتين هنا؛ لأن الخطاب فيه لون من الزجر، وزيادة اللوم والعتاب؛ لذا قيل له: (العزيز الكريم) على سبيل التهكم والتوبيخ والاستهانة، أي: أنت الذليل المهان.

على فتح الهمزة في القراءة –هنا– لا يصح الوقف على (ذق)، بل توصل بالجملة بعدها؛ لأنها تعليل لفعل الأمر (ذق)، والمعنى: ذق لأنك أنت العزيز الكريم في حد زعمك.

وفي عدول القرآن الكريم عن التعبير عن الصفة الحقيقية لهذا المعاند والمعذب في نار جهنم في الآخر، وهي: الذليل المهان؛ لون من الأدب لبشاعة اللفظ واستهجانه، ولمزيد من التهكم والسخرية، وزيادة في التوجع والإيلام له، فليس المراد بالأمر بالذوق أن يذوق العذاب حقيقة؛ لأنه غارق في غصص المذوق ومحنه(١).

* * ** * *

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] لمحمد بن عرفة الدسوقي، تح: عبد الحميد هنداوي٢/٤١٤، المكتبة العصرية، بيروت.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن ذكر أهم النتائج وبعض التوصيات التي استطعت الوصول إليها خلال هذا البحث:

أولًا: أهم النتائج.

١- انفرادات الإمام الكسائي حافلة بكثير من الوجوه والمعاني التي تتكامل وتتعانق مع قراءة الجمهور ولا تتعارض، وهذا وجه من وجوه الإعجاز في القراءات القرآنية.

٢- الإمام الكسائي حجة وإمام في القراءة، فضلًا عن كونه أستاذًا في اللغة، وعالمًا بالنحو؛ لأن القراءة علاقتها باللغة وطيدة ووثيقة.

٣- شخصية الإمام الكسائي كانت بارزة في اختياره لهذه الانفرادات؛ إذ إنه لم يكن تابعًا أو ناقلا لوجوه القراءة فحسب بل كانت له سمة مستقلة.

٤- بعض انفرادات الإمام الكسائي فيها لمحات ودروس تربوية كما في قراءة(عرَف) بالتخفيف؛ إذ القراءات حافلة بكل المعاني والأسرار والوجوه التربوية.

ثانيًا: التوصيات

يوصي البحث بما يلي:

١- دراسة باقي انفرادات القراء التي لم تُتَناول بالدراسة لبيان مظاهر الإعجاز فيها.

٢- جمع أسس مظاهر الإعجاز في انفرادات القراء العشرة وتحليل هذه الأسس.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل في موازين الحسنات، وأن يتقبله بقبول حسن إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

فهرس المصادر والمراجع

- الأساس في التفسير لسعيد حوّى، دار السلام، القاهرة، الطبعة: ٦، ١٤٢٤هـ.
- البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- تأويلات أهل السنة للماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] لمحمد بن عرفة الدسوقي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.

- حجة القراءات لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني.
- الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.
- الحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد الفارسي، تح: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- علم البيان لعبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، الناشر: مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.
- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني لمحمد حبش، الناشر: جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية/ كلية الدراسات العليا والبحث العلمي السودان ــ أم درمان، إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد علي الإمام.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة.
- المحرر الوجيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، تح: محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط:١، عام النشر: ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤م.
- مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات لإبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة للنشر، الرياض، ط:١، عام النشر: ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨م.
- معاني القراءات للأزهري لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م.
- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) د. محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس الرازي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، بيروت، تح: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ط:١، عام النشر: ١٤٠٤هـ.

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هـ.
- النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- الوسيط في تفسير القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	الملخص	١٦٨٨
٢-	Abstract	١٦٨٩
٣-	المقدمة	١٦٩٠
٤-	التمهيد	١٦٩١
٥-	العنصر الأول: تعريف الانفرادة	١٦٩١
٦-	العنصر الثاني : التعريف بالإمام الكسائي	١٦٩٢
٧-	العنصر الثالث : ترجمة راويي الإمام الكسائي	١٦٩٥
٨-	المبحث الأول : مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾	١٦٩٧
٩-	المبحث الثاني: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾.	١٧٠٠
١٠-	المبحث الثالث :مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾	١٧٠٣
١١-	المبحث الرابع: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.	١٧٠٦
١٢-	المبحث الخامس: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى : {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى}	١٧٠٨
١٣-	المبحث السادس: مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾	١٧١٠
١٤-	الخاتمة	١٧١٢
١٥-	فهرس الموضوعات	١٧١٧